# لولا لطف الله

مساءً ووجهتي اللاندمارك والشارع الذي أسير فيه تصطف سياراتٌ على جانبيه. فجأة يركض طفلٌ في الرابعة من عمره في طريقي. أحاول الميل إلى اليسار قليلاً لأتجنبه وأنا أكبح السيارة حتى تقف تماماً.. أقف لحظاتٍ ويسرع إليه والده مرعوباً فيضربه ويعنفه وهو يجرجره مبتعداً. ثم يتلاشى بكاء الطفل وتعنيف الأب إذ تحركتُ مغادرةً المشهد..

لا أعلم كيف تفاديته بمقدار.. شعرة؟ ولكني لحظتها كنت رابطة الجأش إلى درجةٍ أقرب إلى التبلّد. بيْد أني ما إن قطعت مائة مترٍ حتى لاحظت أن قلبي يدق وأن عينيَّ أصبحتا رطبتين مع شعورٍ بالانفعال الغامر، هل كدت.. أقتل طفلاً؟

فقدت الرغبة تماماً في التبضع وشعرت أنني أريد أن أعود إلى البيت. أصلاً لا ينقصني شيء. أكاد أرتجف من فكرة "ماذا لو؟" ثم أدرك تماماً أنني لم أتفاداه ولم يتفاداني.. إنه فقط لطف الله الذي لو شاء أن يكون حادثاً لكان.. عليَّ أن أسجد سجدة شكرٍ حالما أصل إلى البيت..

بعد ساعاتٍ أنظف أسناني وآوي إلى الفراش. لم تفرح يداي بملمس لحافي الأرنبي النعومة مثلما تفعلان كل يومٍ مذ جاء الشتاء، ولا رأسي وهو يغوص في الوسادة..

ولم أتناول الآيباد حالما استقررت من أجل جولة ما قبل النوم في الشبكة والقنوات الكوميدية.. كانت مخيلتي تستعيد رغم أنفها انطلاقة الطفل الصاروخية أمام سيارتي المرة تلو المرة..

وفي الظلام خيمت هذه الفكرة في رأسي؛ كل هؤلاء الذين يأمرون بالقتل الذين ويبررونه والذين يقتلون آلاف الأطفال والكبار.. كم شاهدت منذ بداية هذه الألفية من جنرالات وضباط وسياسيين وغيرهم وغيرهم من أجانب وعرب يبررون كيف أنه كان لا بد أن يُنسف مكانٌ ما بمن فيه لأن ثمة مقاتلين **قد** يكونون بينهم..

كل هؤلاء، بماذا يشعرون تحت ألحفتهم الدافئة يا ترى؟

دلال خليفة

نشر في الملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية
بتاريخ ٢٠١٤/١/٢٦م